

خصائص التشبيه في الأدب الروائي لنجيب محفوظ

د. وو هاو

كلية اللغات الشرقية جامعة الدراسات الدولية بسيتشوان

الملخص

يعد نجيب محفوظ من أهم الأدباء العرب خلال القرن العشرين ويعد التشبيه أحد خصائص لغة محفوظ في رواياته. وحلل هذا البحث أبرز الخصائص في بناء التشبيه عند نجيب محفوظ؛ ألا وهي: تنوع التركيب وتنوع التقابل بين المشبه به والمشبه، والتشبيه المتميز لأبطال الروايات، وجمال التشبيه الشعري مما يستنتج أن الأسلوب التفكيري للكاتب يتسم بسعة الخيال ووفرة التصورات ودقة الملاحظة والسعي وراء التطور والتجديد.

حاول هذا البحث تناول خصائص التشبيه في الأدب الروائي لنجيب محفوظ وتفسير العلاقة بين التشبيه والأسلوب التفكيري للكاتب، وقد اعتمد في ذلك على أهم روايات محفوظ: (الثلاثية) و(أولاد حارتنا) و(ملحمة الحرافيش) فقط، بدلا من كل الروايات لنجيب محفوظ. وقد ألقى البحث بعض الضوء على موضوع "خصائص التشبيه في الأدب الروائي عند نجيب محفوظ" في محاولة لإثراء الدراسات عن نجيب محفوظ بما يثير اهتمام الدارسين في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: التشبيه، نجيب محفوظ، خصائص التشبيه

Simile properties Naguib Mahfouz literature

Dr. Wu Hao

Sichuan International Studies University

Abstract

Naguib Mahfouz is regarded as one of the most important Arab writers during the twentieth century, while simile and metaphor is one of language characteristics in his novels. This article analyzed the most prominent features of building similes and metaphors in Naguib Mahfouz's literature, which are reflected in the following aspects: the diverse linguistic structure used in constructing similes and metaphors, the diversity of convergence between the topic and the image, the unique analogy of the protagonists, and the beauty of poetic simile and metaphor. The study concludes that the writer's thinking style is characterized by the capacity of imagination, the

richness of perceptions, the accuracy of observation, and the aspiration to develop and renew his literary path.

The study selected Mahfouz's best known works (Cairo Trilogy: Palace Walk, Palace of Desire, Sugar Street), (Children of the Alley), and (The Harafish) as the representative of all his works to analyze the features of his similes and metaphors, and attempted to discuss the relationship between the features and the author's thinking style, in order to shed some light on the topic "The Features of Similes and Metaphors in Naguib Mahfouz's literature" and enrich studies on Naguib Mahfouz and arouse the interest of scholars in this field.

Keywords: simile, metaphor, Naguib Mahfouz, features

المقدمة

ذاع صيت نجيب محفوظ بصفته أول أديب عربي حاصل على جائزة نوبل للآداب في العالم العربي، وكتب الكثير من الدارسين العديد من الأبحاث حول أدب نجيب محفوظ، ولكن القليل منهم أولى الاهتمام بخصائص أدبه الروائي، حيث يعتبر التشبيه من أبرز الخصائص في الأدب الروائي لنجيب محفوظ، فهو يفتح النافذة أمام القراء على أسلوب تفكير الكاتب بحيث لا يعد التشبيه من الزخارف والمحسنات اللغوية فحسب في علوم اللسانيات الإدراكية، بل هو الأسلوب الذي يعتمد عليه الكاتب لإدراك العالم.

ودراسة التشبيه في اللغة الأدبية وسيلة ذات أهمية ومغزى كبيرين لتوضيح طريقة الكاتب في الإدراك والتفكير؛ نظراً لأنه يسلط الضوء على خصائص إبداع الكاتب كما يجسد ثمار إدراكه. وانطلاقاً من أهمية هذا الموضوع وما يعانيه من الإهمال في الأبحاث العلمية، تختار هذه الورقة العلمية خصائص التشبيه في روايات نجيب محفوظ لدراسة.

ألف نجيب محفوظ ٣٥ رواية، وكانت "الثلاثية (بين القصرين، قصر الشوق، السكرية)" و"أولاد حارتنا" و"ملحمة الحرافيش" أبرزها من حيث الأفكار والحبكة والأسلوب اللغوي. ويقوم هذا البحث بإحصاء التشبيهات الواردة في الروايات الخمس المذكورة ويهدف إلى تحليل خصائصها في أربعة فصول، حيث يفسر الجزء الأول تنوع التركيب اللغوي في بناء التشبيه؛ وأما الجزء الثاني فيبين وفرة الصور بتقابل المشبهات به المتعددة للمشبه الواحد، ودقة الملاحظة بتقابل المشبه به الواحد للمشبهات المتعددة؛ ويتعمق الفصل الثالث في التشبيه المتميز لأبطال الروايات؛ ويعرض الفصل الرابع جمال التشبيه الشعري من حيث جمال التناظر والصورة والحكمة.

ومن الجدير بالذكر أن التشبيه يجب أن يتوفر فيه على الأقل ركنان: المشبه والمشبه به والاستعارة يجب أن يتوفر فيها أحد طرفي التشبيه فقط (المشبه أو المشبه به)، فيمكن القول إن الاستعارة ما هي إلا تشبيه حذف أحد طرفين، وكلا التشبيه والاستعارة من الأسلوب التفكيري الذي يستخدم الشيء لإدراك الشيء الآخر. نظرا لذلك، مفهوم التشبيه في هذا البحث يحتوي على التشبيه والاستعارة معا.

المبحث الأول

تنوع التركيب اللغوي في بناء التشبيه

نجيب محفوظ ماهر في استخدام مختلف الأنواع من التشبيهات في رواياته بما فيها التشبيه المرسل، مثل "تحسبني هنا كالرقيق" ١، والتشبيه المؤكد، مثل "مأواه الأرض. هي الأم والأب لمن لا أم ولا أب له." ٢. وحسب إحصاء لعدد التشبيهات في (الثلاثية) و(أولاد حارتنا) و(ملحمة الحرافيش)، يوجد ١٩٣٢ تشبيها، بما فيه ٥٩٥ تشبيها مرسلا و١٣٣٧ تشبيها مؤكدا، يظهر أداة التشبيه حرف الكاف (ك) ٢٨٢ مرة، و"كما" ٧٨ مرة، و"كأن" ٨٦ مرة، و"كأنما" ٣٦ مرة، و"مثل" ١٠١ مرة، و"أشبهه/يشبهه" ١١ مرة، و"مثلما" مرة واحدة. من نتيجة التعداد نلاحظ أن نجيب محفوظ يفضل التشبيه المؤكد على التشبيه المرسل، ويستخدم أدوات التشبيه "ك" و"مثل" و"كما" و"كأن" أكثر في صياغة التشبيه المرسل.

ويكون المشبه به في روايات نجيب محفوظ متنوع التركيبات:

أولاً: يكون المشبه به كلمة، مثل "لسانها سوط، وحبها نار." ٣

ثانياً: يكون المشبه به والمشبه شبه جملة بما فيه ثلاثة أنواع:

١. المضاف والمضاف إليه، ويكون ذلك في عدة حالات: (أ) يكون المضاف مشبها به والمضاف إليه مشبها، مثل "في هاوية اليأس والحزن" ٤، المضاف "هاوية" هو المشبه به، والمضاف إليه "اليأس والحزن" هو المشبه، يعني "اليأس والحزن كهاوية" ووجه الشبه بينهما هو العمق، إذا سقط فيها الإنسان فسوف يلقي حتفه. (ب) يصف المضاف خصائص المشبه به، ويكون المضاف إليه مشبها، ولا يظهر المشبه به، مثل "كانت تصغي إليه وشرر الغضب يتطاير من حدقتيها." ٥، يكون المضاف إليه "الغضب" هو المشبه، والمضاف "الشرر" ليس مشبها به، فالمشبه به الحقيقي "النار" لا يظهر في الجملة، ولكن يمكن أن نعرف أن نجيب محفوظ يشبه الغضب بالنار، فللغضب شرر. (ج) يصف المضاف والمضاف إليه المشبه معا، مثل "لا تحزن فالقتل في حارتنا مثل أكل الدوم." ٦، والمشبه هو "القتل" والمشبه به هو "أكل الدوم" ووجه

الشبه هو كلاهما أمر عادي. (د) يدل المضاف على وجه الشبه بين المشبه والمشبه به، ويكون المضاف إليه مشبهاً به مثل "يا للشباب الذي ينطوي بسرعة البرق".^٧، المضاف إليه "البرق" هو المشبه به، ويدل المضاف "سرعة" على وجه الشبه بين المشبه به "البرق" والمشبه "الشباب".

٢. حرف الجر، يفصل حرف الجر بين المشبه والمشبه به، والتركيب اللغوي هو "المشبه به + حرف الجر + المشبه"، ودائماً يكون حرف الجر "ب" و"من". مثل "انقضت السحابة المثقلة بالحقد والمرارة والندم".^٨، يكون ما قبل حرف الجر "السحابة المثقلة" مشبهاً به، وما بعده "الحقد والمرارة والندم" مشبهاً؛ و"فاجتاحه تيار سماوي من الأفراح أخرسه".^٩، يكون ما قبل حرف الجر "تيار سماوي" مشبهاً به، وما بعده "الأفراح" مشبهاً.

٣. اسم التفضيل، يكون ما قبل اسم التفضيل مشبهاً، وما بعده مشبهاً به، مثل "أن هذه المخلوقة الجميلة ألدّ من أنعام عودها".^{١٠}، يكون "المخلوقة الجميلة" مشبهاً، و"أنعام عودها" مشبهاً به.

ثالثاً: يكون المشبه به جملة، وذلك في حالتين: (أ) للمشبه والمشبه به التركيب اللغوي نفسه، مثل "تتطور الأشياء بالمناسبات كما تتطور الألفاظ بما تستجد من معان جديدة".^{١١}، التركيب اللغوي نفسه في المشبه والمشبه به هو "تتطور الأشياء بالشيء". (ب) التركيب اللغوي للمشبه والمشبه به مختلف، مثل "ولكنها ارتطمت في النهاية بذاك الهدوء الحكيم كما تنتهي مياه الشلال المتدفقة الراغبة المزيدة في النهر الرصين".^{١٢}.

من الفقرة التالية يمكن أن نرى فن بناء التشبيه بالتركيبات المتنوعة في روايات نجيب محفوظ.

كانت هالة شعرها الأسود تحدق بقذالها وعارضيتها وتنوس بحركة مشيتها نوسانا تموجياً^١، أما أسلاك قصتها الحريية^٢ فاستكنت على الجبين كأسنان المشط^٣، وفي وسط هذه الهالة بدا الوجه البدري^٤ في طابع من الحسن أنيق ملائكي^٥ كأنه سفير سام لدولة الأحلام السعيدة^٦. تسمر^٧ في موضعه تحت تأثير التيار المغناطيسي^٨، على حال بين اليقظة والنوم، ولم يبق من الدنيا في وعيه إلا عاطفة امتنان وجيشة وجدان، وجعلت هي تقترب في خفة وتبخر كأنها نغمة حلوة مجسمة^٩ حتى سطعه من أعطافها عبر باريسي^{١٣}.

في هذه الفقرة المكونة من حوالي ثمانين كلمة تسعة تشبيهات بما فيها التشبيه المرسل (٣، ٦، ٩) والتشبيه المؤكد (١، ٢، ٤، ٥، ٧، ٨)، ويكون المشبه به صفة (١، ٢، ٤، ٥)، ويكون المشبه به اسماً

(١، ٨، ٩)، ويكون المشبه به فعلاً (٧)، ويكون المشبه شبه جملة (٣)، ويكون المشبه به جملة (٤). وفي التشبيه "تسمر"، تحتوي الكلمة الواحدة على المشبه "هو" والمشبه به "المسمار" ووجه الشبه "عملية التسمر".

فلماذا يتسم التركيب اللغوي في بناء التشبيه في روايات نجيب محفوظ بالتنوع؟

يرجع ذلك إلى سببين: السبب الأول سبب "موضوعي"، حيث أن اللغة العربية بذاتها لغة مثمرة لها إمكانية في إبداع مختلف التركيبات مما جعل نجيب محفوظ يبدع التشبيهات بمختلف تركيباتها. والسبب الثاني سبب "شخصي"، ففي شخصية نجيب محفوظ حاسة نادرة وهي "حاسة الإدراك السريع لإيقاع العصر، وما يحدث فيه من تغيرات وتطورات، وهذه الحاسة هي التي أتاحت لنجيب محفوظ أن يقوم بعملية تطوير مستمر لأدبه فلا يتجمد عند مدرسة واحدة ولا يتوقف عند شكل في ثابت" ١٤. وقد تطلع نجيب محفوظ إلى التطور والتغير في أدبه دون أن يقنع بوتيرة واحدة، مما جعل رواياته متنوعة؛ رواية تاريخية ورواية واقعية ورواية رمزية ورواية شعرية. والكاتب الذي يسعى وراء التجديد في طريقه الأدبي لا يقنع ببناء التشبيه بتركيب واحد.

وعلاقة اللغة والتفكير كالوجهين للورقة الواحدة لا ينفصل أحدهما عن الآخر. يتجسد التفكير في اللغة، وتتأثر اللغة بالتفكير، في ضوء تفاعل اللغة والتفكير فيمكن ملاحظة تنوع التفكير والإدراك لنجيب محفوظ من تنوع التركيب اللغوي في بناء التشبيه في رواياته.

المبحث الثاني

تنوع التقابل بين المشبه به والمشبه

لا يستخدم نجيب محفوظ التركيبات اللغوية المتنوعة في بناء التشبيه فحسب، بل يستعمل المشبهات به المتعددة لتقابل المشبه الواحد، والمشبه به الواحد للتقابل مع المشبهات المتعددة، حيث يختار نجيب محفوظ مشبهات بها مختلفة للمشبه نفسه كما يستخدم مشبهها به واحداً للمشبهات المتنوعة.

ويشبه نجيب محفوظ السعادة بالبحر ومثال ذلك "طفاه قلبه فوق موجة من السعادة". ١٥، كما يشبهها بالنور فيقول: "أما السعادة العمياء التي تضيء وجوه الطائفين من حوله فقد نبذها غير آسف". ١٦، ويشبهها أيضاً بالبضاعة فيوجد "مهنتي بيع الملابس والسعادة للناس". ١٧، وبالطعام أحياناً "لعله بسببها لم يذق للسعادة طعاماً". ١٨، وبالجدوة أحياناً "واصل ضياء وعاشور حياتهما اليومية وقد انطفأت في نفسيهما جدوة الإبداع والسعادة". ١٩، وأخيراً يشبهها بالزهرة "امتلاأت بنفحة سعادة

وخيلاء. "٢٠، و"يزدهيك علو فوق الحياة والأحياء، ويصل أسبابك بالسموات جسر مفروش بورود السعادة. "٢١

ويشبه الحب بتنوع المشبهات به أيضا: "الحب من منيع الدين يقطر صافيا! "٢٢، "الحب حمل ذو مقبضين متباعدين خلق لتحمله يدان. فكيف يحمله وحده؟"٢٣، "والحب مرض غير أنه كالسرطان لم تكتشف جرثومته بعد. "٢٤، "ألا يمكن أن يكون للحب- كهذا اللحن وككل شيء- نهاية؟"٢٥، "عجيب كأبي الهول، ما أشبه حبك به أو ما أشبهه بحبك، كلاهما لغز وخلود!"٢٦، "ترأى له حبه معلقا فوق رأسه كالقدر، يشده إليه بأسلاك من الألم المبرح، أشبه ما يكون في جبريته وقوته بالظاهرة الكونية، فتأمله بعين ملؤها الإكبار والحزن. "٢٧، "فغمه شذا ياسمين ساحرا آسرا ولكن ما هويته؟، ما أشبهه بالحب، في سحره وأسره وغموضه، لعل سر هذا يفضي إلى ذلك. "٢٨، "غير أن قضبان السجن بدت أطوع للتحطيم وأرق أمام الزمام من أغلال الحب الأثرية التي تستأثر المشاعر في القلب والأفكار في العقل والأعصاب في الجسد ثم لا تؤذن بالخلال. "٢٩، "إن الحب كالزلازل الذي يرح الجامع والكنيسة والماخور على السواء. "٣٠

بالمقابل، يستخدم نجيب محفوظ نفس المشبه به ليصف مختلف المشبهات، ومثال ذلك "وبعث في أغصان الأشجار الهائلة المتشابكة حركة وانية ند عنها هسيس كالهمس، وكانت تبدو في الظلام كالكتبان أو السحب الجون. "٣١، "لكن خاطرا خطر فأظلت على قلبه سحابة من الكدر. "٣٢، "تبدى الغضب في وجه جبل كالسحاب المظلم. "٣٣، "هامت في صدره الهواجس مثل السحائب في اليوم المطير. "٣٤، في هذه الجمل المشبه به نفسه هو "السحابة" والمشبهات فيها مختلفة. في الجملة الأولى يشبه الأشجار التي تتحرك بالريح في الظلم بالسحابة، في الجملة الثانية يشبه الكدر بالسحابة، في الجملة الثالثة يشبه الغضب بالسحابة، في الجملة الرابعة يشبه الهواجس بالسحابة.

يدل تقابل المشبهات به المتعددة للمشبه الواحد وتقابل المشبه به الواحد للمشبهات المتعددة على وفرة التصورات ودقة الملاحظة لنجيب محفوظ. وحرص نجيب محفوظ على أن توجد العلاقة بين أشياء الدنيا والتي تكون منشأ التشبيه. وسعة الخيال هي العامل الأساسي في قدرة الكاتب على إيجاد علاقة بين الأشياء المختلفة وبناء التشبيهات، فإذا قرن الكاتب الفتاة الجميلة بالزهرة فهذا يعتبر تشبيهاً لا ابتكار فيه! أما الكاتب الذي يسبح في سماء الخيال ويبدع التشبيهات المتنوعة الرائعة فسيرقى إلى تاج الأدب، ونجيب محفوظ من النوع الثاني.

ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به قد يكون في الشكل أو في العلاقة الداخلية. ومثال ذلك في جملة "رفعت عينها إلى السقف حتى ترامى جيدها كالشمعدان الفضي. "٣٥ وهذا يكرس تجربة واقعية،

فإذا رفع شخص ما رأسه ناظرا إلى السقف فسيطول عنقه. والشمعدان الفضي طويل أيضا، ف"جيدها" و"الشمعدان الفضي" لهما وجه الشبه هو "الطويل". وجملة "يمشي الزمن على أديمه غير تارك أثرا كأنه الماء يمشي على مرآة مصقولة."^{٣٦} تتحدث عن مرور الزمن ولكن دون أن تتغير ملامحه، إذا يسيل الماء على مرآة مصقولة لا يترك أي أثر، كما لا يترك الزمن أثرا في الوجه. من هنا، نعرف أن نجيب محفوظ يلاحظ الحياة بدقة فيمكنه إبداع التشبيهات من تجربة الحياة وجعلها أكثر حيوية.

المبحث الثالث

التشبيه المتميز لأبطال الروايات

يستخدم نجيب محفوظ التشبيهات المتميزة لإبراز شخصيات أبطال الروايات، يجعل التشبيه يناسب شخصية كل بطل، فيتسم التشبيه بشخصية البطل. ولقد اعتمد نجيب محفوظ طريقين لتحقيق ذلك، ألا وهما تكرير المشبه به نفسه للبطل نفسه وإبداع التشبيه الذي يتفق مع شخصية البطل.

أولا: تكرير المشبه به نفسه للبطل نفسه

يشبه نجيب محفوظ البطل نفسه بالمشبه به نفسه تكرارا مما يظهر شخصية البطل ويجعل التشبيه رمزا لبطل.

"هرعت عائشة إليها كدجاجة مذبوحة وأمسكت بكنفيها صائحة بصدر يعلو وينخفض."^{٣٧} و"كم في الواقع شابهت الدجاجة المذبوحة التي تندفع مبسوطة الجناحين- كأنما تنتفض حيوية ونشاطا- على حين يتدفق الدم من عنقها مستصفا آخر قطرات الحياة."^{٣٨}، تصف الجملتان البطل "عائشة" باستخدام المشبه به نفسه "دجاجة مذبوحة"، رغم أن الجملتين جاءتا من مشاهدين مختلفين، ولكن مشاعر عائشة كانت متماثلة. تصف الجملة الأولى عائشة عندما رأت الشاب الذي يعجبها، ولكنها خشيت من إخبار الآخرين. وتصف الجملة الثانية أن حسن إبراهيم طلب يدها، ورفضه أبوها. وعندما يقرأ القراء الجملة الثانية، فمن الطبيعي أن يقرنوا الدجاجة المذبوحة بالجملة الأولى مما عمق انطباعهم بشخصية عائشة.

"كانت أمينة تشعر بأنها في أعلى البيت سيدة بالنيابة وممثلة لسلطان لا تملك منه شيئا، فهي في هذا المكان ملكة لا شريك في ملكها، فهذه الفرن تموت وتحيا بأمرها، وهذا الوقود من فحم وحطب في الركن الأيمن يتوقف مصيره على كلمة منها."^{٣٩}، "في فجر اليوم الموعود الذي انتظرته طويلا هبت من

الفرش في حفة صبيانية من الفرغ كأنها ملك يعود إلى عرشه بعد نفي. "٤٠، للجملتين المشبه به نفسه "ملكة"، عندما يقرأ القراء "ملك" في الجملة الثانية يذكرون "ملكة" في الجملة الأولى التي قد قرؤوها مما عمق مفهومهم عن أمانة عبر المشبه به "ملك". ولا شك أن نجيب محفوظ له قدرة إبداع المشبه به الجديد لأمانة في الجملة الثانية ولكن لم يفعل هكذا بل كرر المشبه به "ملك" لإظهار "ملكة" في المطبخ في الجملة الأولى. وهذا يدل على أن نجيب محفوظ فنان يستخدم المشبه به نفسه ليقرن التشبيهين.

"كأنما أحب ليتفقه في معجم الألم، ولكنه على التمتع الشرر المتطاير من ارتطام آلامه يرى نفسه ويعرف أشياء. ٢٠١"٤١، "قاموس حياته لم يعرف للحب من معنى سوى الألم، ذلك الألم العجيب الذي يحرق النفس حتى تبصر على ضوء نيرانه المتقدمة عجائب من أسرار الحياة، ثم لا تخلف وراءها إلا حطاما. ٤٢، هاتان الجملتان واردتان من الروايتين من (الثلاثية)، ويصف نجيب محفوظ ألم كمال في الحب بنفس المشبه به "معجم/قاموس" و"النار". قد مرت السنوات ولكن مشاعر كمال لحيته لم يتغير بالزمن، فاختار الكاتب نفس المشبه به ليصف ألمه مما جعل "معجم الألم" و"حريق الألم" رمزا للبطل.

ثانيا: إبداع التشبيه يتفق مع شخصية البطل

إن بناء شخصية البطل لا يعتمد على الوصف للبطل ذاته فحسب، بل على وصف إدراك البطل لما حوله من الأشياء والناس لإكمال شخصيته. إن شخصية خديجة في (الثلاثية) تميل إلى السخرية من الآخرين، فالتشبيهات لها تتفق مع شخصيتها وتقويها. عندما تضحك على عائشة لأنها تأكل ولا تسمن، تقول "إن المكر السيئ هو الذي يجعلها تربة غير صالحة للبذور الطيبة التي تلقى فيها." ٤٣ وترجع ذلك إلى تظاهر عائشة بالصوم، تقول "كلنا نصوم رمضان إلا أنت، تتظاهرين بالصوم، وتندسين في حجرة الخزين كالفأرة وتملئين بطنك بالجوز واللوز والبنديق، ثم تفترين معنا بنهم يحسدك عليك الصائمون ولكن الله لا يبارك لك." ٤٤. وعندما تقول الأم إنه قد يدل الجواد في منام خديجة عريسها، تقول "أنتظنين الجواد عريسا؟.. لن يكون عريسي إلا حمارا." ٤٥ وعندما تكرهها عائشة بأن تدخل خديجة غرفتها ساكنة دون إذنها، تقول "أسفة يا أختي، في المرة القادمة سأعلق جرسا في عنقي مثل عربة المطافئ لتنتبهي إلى حضوري فلا ترتعبن." ٤٦ وعندما تزور زوجة ابنه الطبيب للعقار تقول "أنفق المسكين كثيرا وسينفق غدا أكثر، إن عرائس اليوم غالية الثمن كالطماطم واللحوم!" ٤٧

إن ياسين وكمال الذي قبل تزوج عايدة في ((قصر الشوق))، نظرتهما للمرأة والحب فيها فجوة كبيرة كشاعر الشعر الإباحي والشعر العذري في العصر الأموي، فاستخدم نجيب محفوظ التشبيهات المختلفة لهما لتتفق مع شخصيتهما.

في ذهن كمال، أن عايدة هي ملاك ذو مكانة عالية بصفتها أجمل هدية في الدنيا، فعندما يعبر عن حبه لعائدة يكون أسلوبه قلقلًا وغير مباشر كما في التشبيهات التالية: "ما أسعده بهذا المنظر.. هذا الحديث.. هذا الصوت، تأمل.. أليست هذه هي السعادة؟! فراشة كنسمة الفجر تقطر ألوانا بهيجة وترشف رحيق الأزاهر." ٤٨، "من المعبودة ينبثق نور تتبدي فيه الكائنات خلقا جديدا." ٤٩، "إذا التفت إلى الورا فرأيت آثار القدمين اللطيفتين مطبوعة فوق الرمال، فاعلم أنها تقيم معالم للطريق المجهول يهتدي بها السالكون إلى سبحات الوجد وإشراق السعادة." ٥٠، "وأنا أدور في فلكك مجذوبا بقوة هائلة.. كأنك الشمس، وكأنني الأرض." ٥١، "أنت شعلة من سعادة سادرة، وأنا رماد من وجوم وكآبة." ٥٢، "نغمة أسرة، ومناغمة عذبة، ولكنه لا يدري أيجد المعبود أم يلهو، وهل تفتتح أبواب الأمل أم توصلد في خفة النسيم." ٥٣

في عين ياسين، أن المرأة طعام لإشباع شهوته الشخصية بجسمها الثري وهو في مكانة أعلى. فعندما يعبر عن حبه للمرأة يكون كلامه مغريا ومباشرا كما في التشبيهات التالية: "وجد نفسه على رغبه وحذره يسترق النظر إلى كنزها النفيس وهو يطالعه كالقبة." ٥٤، "عجيزتها التي كادت قمتها تبلغ منتصف ظهرها ويفيض أسفلها على فخذيها؛ فكأنها كرة منطاد!" ٥٥، "أليس من الظلم أن يتمتع أبونا بالدسم، على حين لا نجد نحن إلا الفتات؟" ٥٦، "إذا حدث أن خيبت ظني نبذتها كما ينبذ الحذاء البالي." ٥٧، "خذي هذه النظرة النارية." ٥٨، "إني أفكر في سوري سطحينا المتلاصقين، بم يوحى منظرهما اليك؟ منظر حبيبين ملتصقين." ٥٩

ويعرف نجيب محفوظ الفئة التي يتمثل البطل بها كل المعرفة بفضل دقة ملاحظته للحياة. لقد وصف نجيب محفوظ الطبائع التي استخلصناها من أعماله انطلاقا من مراقبته لشخصيات حقيقية موجودة بالفعل.. قد ارتكز في جزء من وصفه على ((ذاكرته)) حيث يحفظ الأشخاص الذين عرفهم بالفعل في شبابه وفي حارته." ٦٠ كان يرافق أمه في زيارة الأقارب والجارة في صغار سنه، فعرف الأشكال من الناس والحياة الاجتماعية من صغره، عندما كبر، كان يراود المقهى الذي يلعب دورا مهما في رواياته لملاحظة مختلف الطبقات الاجتماعية. ويصب نجيب محفوظ تجاربه الشخصية في تشبيهات رواياته أيضا. ومثال ذلك جملة "أما خديجة فقد تلقت الخبر بدهشة بادئ الأمر لم تلبث أن انقلبت خوفا وتشاؤما لم تدر لهما سببا واضحا ولكنها كانت كتلميذ، يتوقع بين آونة وأخرى ظهور نتيجة الامتحان - اذا تناهى إليه نجاح زميل له بلغته النتيجة من مصدر خاص." ٦١، يصف نجيب محفوظ مشاعر خديجة من تجربة نفسه حيث رُشح للدراسة في الخارج مرتين، مرة لدراسة الفلسفة، ومرة أخرى لدراسة اللغة وأخيرا رسب، لأن الدرجة الأولى نالها قبطني والدرجة الثالثة نالها قبطني أيضاً، واسم نجيب محفوظ جعل المقيمين يظنون أنه قبطني أيضا، فتركوه لأنهم يرون أنه من غير المعقول أن يختاروا ثلاثة أقباط. ٦٢

المبحث الرابع

جمال التشبيه الشعري

توجد العلاقة الطبيعية بين اللغة والشعر حيث أن اقتراحهما بشكل مبدع ينشئ اللغة الشعرية، فللغة الشعرية والتشبيه علاقة طبيعية أيضا. إن التشبيه لا يستغنى عنه في إبداع الشعر، ولكن ليس كل تشبيه شعر. وتدل أعمال نجيب محفوظ على أنه مولع بالشعر وخاصة الشعر العربي، حيث كان يحاول نظم الشعر في شبابه فيتسم التشبيه في رواياته بالشعرية التي تتجسد في ثلاثة جوانب.

أولاً: "جمال الناظر"

يوجد جمال الناظر في شعرية تشبيهات نجيب محفوظ لأن اتزان التركيب اللغوي يجعل التشبيه متوازناً ثم موسيقياً كما جاء في الجمل التالية: "جسم ثور وقلب عصفورة!"^{٦٣}، "حسبك أن تحب، حسبك منظرها الذي يشعشع بالنور روحك، وأنغام نبراتها التي تسكر بالتطريب جوارحك."^{٦٤}، "لأول مرة منذ أعوام تطلع إلى ما قبل الحب من الماضي بلهفة كما تطلع السجين إلى ذكريات الحرية الضائعة."^{٦٥}، "سيطاردك هذا السؤال كما تطارد الشمس في الخلاء راعي الغنم."^{٦٦}

ثانياً: "جمال الصورة"

إن نجيب محفوظ يخلق الصورة الجميلة في رواياته بالتشبيه.

"إن الورد والياسمين والقرنفل والعصافير واليمام ونفسه نغمة واحدة."^{٦٧}، في هذه الجملة يوجد النبات والحيوانات والناس وتوجد الأشياء الساكنة والأشياء المتحركة فكل هذه الأشياء المتناغمة تُكوّن نغمة واحدة، ما أجمل هذه الصورة!

"ومناداتها لك ما أطربها، بصوت لا تدري كيف تصفه، لا رفيع النبرة ولا غليظها مثل ((فا)) السلم الموسيقي المنبعثة من كمان، زينه في صفاء النور، ولونه لو تخيلت له لونا في زرقاء السماء العميقة، دافئ الالمام، داعية الى السماء."^{٦٨}، حيث يعبر نجيب محفوظ عن جمال صوت عايدة ويمكن أن نشعر به بالسلم الموسيقي ((فا))، وصوت السلم الموسيقي وشفاء السماء وإيمان النفس، كل هذه في الحقيقة هي "الشعر"!

يفضل نجيب محفوظ الصور التالية لإبداع التشبيهات، بما فيها "الليل" و"القمر" و"النجم" و"الموسيقى" و"السحابة" و"السماء" و"الفجر"، ويجمع بعضها في وصف المشبه الواحد دائما، مثال ذلك

"ذكر بها حالاً مماثلة ماضية، كأنما لحن غامض مثير لأجل الألم وهو في الوقت نفسه لا يخلو من لذة خفيفة مبهمة! شعور واحد يلتقي فيه الألم باللذة كالفجر تلتقي عنده حاشية الليل بأهداب النهار." ٦٩

ثالثاً: "جمال الحكمة"

يتجسد جمال الحكمة في التشبيه في روايات نجيب محفوظ في طرحه بالتشبيه أسئلة تجعل الناس يفكرون، مثل "النظر إلى الحياة كمأساة لا يخلو من رومانتيكية طفلية والأجدر بك أن تنظر إليها في شجاعة كدراما ذات نهاية سعيدة هي الموت." ٧٠، "الصديق العائد بعد غيبة طويلة هو أفصح مرآة للانسان." ٧١، "لنعتزف بعد هذا كله بأن الملل يطوق الكائنات وأن السعادة ربما كانت وراء أبواب الموت." ٧٢، "كان الأمل معقوداً بأن قاطرة الحياة تسير وأن محطة الموت في الطريق على أي حال." ٧٣

من هذه التشبيهات ذات الحكمة نرى نور أفكار نجيب محفوظ، إنه ماهر في استخدام الشئيين المتناقضين للتعبير عن مفهومه للدنيا. وجمال الحكمة في تشبيهه له صلة بتجربته في دراسة الفلسفة قبل أن يختار الأدب، وتخرج في كلية الفلسفة في جامعة القاهرة، فنعرف أنه ليس كاتباً بل شاعراً وحكيماً.

خاتمة

إن لنجيب محفوظ باعاً طويلاً في إبداع التشبيهات واستخدامها. وتتميز التشبيهات في أدب نجيب محفوظ بالسماوات الأربع التالية: تنوع التركيب اللغوي في بناء التشبيه، تنوع التقابل بين المشبه به والمشبه، التشبيه المتميز لأبطال الروايات، وجمال التشبيه الشعري. استخدم نجيب محفوظ أنواعاً مختلفة من التشبيهات بما فيها التشبيه المرسل والتشبيه المؤكد، كما أن الأديب قد استخدم تركيبات متنوعة للمشبه به سواء أكانت كلمة أم شبه الجملة أم جملة؛ كذلك استعمل عدة مشبهات به لمشبه واحد، ومشبه به واحد لعدة مشبهات. لقد أبدع الأديب في استخدام تشبيهات متميزة لإبراز شخصيات الأبطال وذلك بتكرير المشبه به نفسه للبطل نفسه وبناء التشبيه وفق شخصية البطل؛ واعتمد كثيراً على جمال التناظر والصورة والحكمة في تكوين التشبيه الشعري. وتدل وفرة التشبيهات التي تضمنها أدبه الروائي وتميزها وخصوصيتها على سعة خيال نجيب محفوظ ودقة ملاحظته ووفرة تصوراته وتطلعه إلى التطور والتجديد في طريقه الأدبي.

الحواشي

١. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص ٢٨٠.

٢. نجيب محفوظ: ملحمة الحرافيش، القاهرة، مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٧، ص١٨٠.
٣. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص١٠٢.
٤. نجيب محفوظ: ملحمة الحرافيش، القاهرة، مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٧، ص٤٣٨.
٥. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٢٩٠.
٦. نجيب محفوظ: أولاد حارتنا، بيروت، دار الآداب، ط٤، ١٩٧٨، ص١٤٠.
٧. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٣٦٩.
٨. نجيب محفوظ: ملحمة الحرافيش، القاهرة، مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٧، ص٥٣٠.
٩. نجيب محفوظ: ملحمة الحرافيش، القاهرة، مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٧، ص٣٩٧.
١٠. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص١٠٢.
١١. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٢٩٧.
١٢. نجيب محفوظ: أولاد حارتنا، بيروت، دار الآداب، ط٤، ١٩٧٨، ص٣٠.
١٣. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص١٦٩.
١٤. رجاء النقاش: في حب نجيب محفوظ، القاهرة، دار الشروق، ط١، ١٩٩٥، ص٢٥٤.
١٥. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٢٤٣.
١٦. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٣٩٢.
١٧. نجيب محفوظ: ملحمة الحرافيش، القاهرة، مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٧، ص١٠٢.
١٨. نجيب محفوظ: ملحمة الحرافيش، القاهرة، مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٧، ص١٩٢.
١٩. نجيب محفوظ: ملحمة الحرافيش، القاهرة، مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٧، ص٥٤٠.
٢٠. نجيب محفوظ: ملحمة الحرافيش، القاهرة، مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٧، ص٣٤٧.
٢١. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٢١.
٢٢. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٧٣.
٢٣. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٢٥٥.
٢٤. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٣٩١.

٢٥. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٣٠٢.
٢٦. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص١٩٠.
٢٧. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٢٥٦.
٢٨. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٢٤٨.
٢٩. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٢٢١.
٣٠. نجيب محفوظ: المؤلفات الكاملة، المجلد الثاني، بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩١، ص٨٦١.
٣١. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٢٨٦.
٣٢. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٢٤٤.
٣٣. نجيب محفوظ: أولاد حارتنا، بيروت، دار الآداب، ط٤، ١٩٧٨، ص١٧٧.
٣٤. نجيب محفوظ: ملحمة الحرافيش، القاهرة، مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٧، ص١٠٦.
٣٥. نجيب محفوظ: ملحمة الحرافيش، القاهرة، مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٧، ص١٦٠.
٣٦. نجيب محفوظ: ملحمة الحرافيش، القاهرة، مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٧، ص٤٢١.
٣٧. نجيب محفوظ: بين القصرين، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٣، ص١٤٩.
٣٨. نجيب محفوظ: بين القصرين، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٣، ص١٦٩.
٣٩. نجيب محفوظ: بين القصرين، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٣، ص٢١.
٤٠. نجيب محفوظ: بين القصرين، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٣، ص٢٠١.
٤١. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٢٠١.
٤٢. نجيب محفوظ: المؤلفات الكاملة، المجلد الثاني، بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩١، ص٨٦٣.
٤٣. نجيب محفوظ: بين القصرين، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٣، ص٣٧٠.
٤٤. نجيب محفوظ: بين القصرين، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٣، ص٣٧.
٤٥. نجيب محفوظ: بين القصرين، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٣، ص٣٨٠.
٤٦. نجيب محفوظ: بين القصرين، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٣، ص١٤٧.
٤٧. نجيب محفوظ: المؤلفات الكاملة، المجلد الثاني، بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩١، ص٩٥٢.

٤٨. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص١٥٤.
٤٩. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص١٦١.
٥٠. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص١٨٥.
٥١. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص١٨.
٥٢. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٥٢.
٥٣. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٢٤٧.
٥٤. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص١٢٢.
٥٥. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص١١٧.
٥٦. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٣٥٠.
٥٧. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص١١١.
٥٨. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص١٢٤.
٥٩. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٦٤.
٦٠. روز ماري شاهين: قراءات متعددة للشخصية: علم نفس الطباع والأنماط-دراسة تطبيقية على شخصيات نجيب محفوظ، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط١، ١٩٩٥، ص١٥١.
٦١. نجيب محفوظ: بين القصرين، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٣، ص١٥٩.
٦٢. أنظر: جمال الغيطاني، نجيب محفوظ يتذكر، عمان، دار المسيرة، ط١، ١٩٨٠، ص٩٤-٩٥. "لم أكن أضيع بالسفر في صدر شبابي، والدليل على ذلك أنني رشحت لبعثتين، بعثة لدراسة الفلسفة، وأخرى لدراسة اللغة... طبعاً أنت تعرف لماذا حرمت من البعثتين.. كان الفائز الأول والثالث قبطيين، وكان ترتيبني الثاني، ظنوا أنني قبطي أيضاً بسبب اسمي نجيب محفوظ، واستكثرت اللجنة سفر ثلاثة أقباط، وهكذا حرمت من رؤية الدنيا..."
٦٣. نجيب محفوظ: ملحمة الحرافيش، القاهرة، مكتبة مصر، ط١، ١٩٧٧، ص٢٠.
٦٤. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص١٦١.
٦٥. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٢٢١.
٦٦. نجيب محفوظ: أولاد حارتنا، بيروت، دار الآداب، ط٤، ١٩٧٨، ص٣٦١.
٦٧. نجيب محفوظ: أولاد حارتنا، بيروت، دار الآداب، ط٤، ١٩٧٨، ص٢٠.

٦٨. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص١٦٣.

٦٩. نجيب محفوظ: المؤلفات الكاملة، المجلد الثاني، بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩١، ص٩٤٧.

٧٠. نجيب محفوظ: المؤلفات الكاملة، المجلد الثاني، بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩١، ص٩٦٨.

٧١. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٧٧.

٧٢. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٢٥٥.

٧٣. نجيب محفوظ: قصر الشوق، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٧٢، ص٢٥٥.